أخذ الركب وجهته الى المدينة نظر رسول الله ﷺ إلى مكة ، نظرة وداع حارة ، ثم قال ﷺ :

« إني لأخْرَجُ منك ، وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله الى الله وأكرمها على الله تعالى ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ماخرجت منك[1] » . وقال ﷺ :

« اللهم إنك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد إليّ ، فأسكنّي أحب البلاد إليك » .

إنها كلمات وداع .. وكلمات دعاء يقطر حباً وحناناً إلى الوطن ، ويفيض حسرة وأسى على فراقه .

ركبٌ يمضي على بركة الله وبعنايته

روى البخاري بسنده عن أبي بكر رضي الله عنه قال : أخذ علينا بالرّصد ، فخرجنا ليلاً ، فأحْثَثْنا ــ أسرعنا ــ ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة ، ثم رُفِعَت لنا ــ ظهرت لنا ــ صخرة ، فأتيناها ولها شيء من الظل ، ففرشت لرسول الله فروة معي ، ثم اضطجع عليها ﷺ ، فانطلقت أنْغُضُ ــ أبحث وأتقصّى ــ ما حولها ، فإذا أنا براعٍ قد أقبل في غُنَيْمة ــ غنم قليلة ــ يريد من الصخرة مثل الذي أردنا . فسألته : لمن أنتَ ياغلام ؟ قال : أنا لفلان ، فقلت له : هل في غنمك من لبن ؟ قال : نعم ، قلت له : هل أنت حالبه ؟ قال : نعم، فأخذ شاة من غنيمه ، فقلت له : انْغُض الضَّرْع ، فحلب كُثْبَة ــ قليلاً ــ من لبن، ومعي إدَاوَة « سقاء للماء » من ماء عليها خِرْقة قد وَرَّأتُها « شددتها بها وربطتها عليها » لرسول الله ﷺ ، فصببت على اللبن حتى برد أسفله ، ثم أتيت به النبي ﷺ فقلت : اشرب يارسول الله ، فشرب ﷺ حتى رضيت ، ثم ارتحلنا والطلب في أثرنا .

---

(١) عيون الاثر ، ج : ٢ ، ص : ١٨٢ ، و « صور من حياة الرسول » ص : ٢٤٦ ، ولذلك ، جاء في فتوح البلدان للبلاذري ، صفحة ٢٥ ، دعاء للنبي ﷺ يطلب فيه من الله عز وجل أن يحبب اليه المدينة : « اللهم طيب لنا المدينة كما طيبت لنا مكة ، وبارك لنا في مدها وصاعها » .